«منجد اللغة العربيّة المعاصرة»
وقضيّة تطوّر اللغة العربيّة

البروفسور أهيف ستّو(٥)

للمنجد الحديث الذي أصدرتْهُ دار المشرق منذ عهد قريب جدًّا، بإشراف الأب صبحي حَمويّ المسؤول عن قسم المعاجم اللغويّة، ومعاونة فريق من المحرّرين والمُراجعين، عنوان يدعو إلى التأمُّل: المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة(١). ويُذكّرنا هذا العنوان بمعاجم أجنبيّة مماثلة كمعجم اللغة الفرنسيّة المعاصرة (*Dictionnaire du français contemporain*)(٢)، أو معاجم ثنائيّة اللغة فصلت بين العربيّة الحديثة وغيرها(٣)... ولكنّ أصالة المنجد هذا: تأتي من صفته معجمًا عربيًّا أحاديّ اللغة، صرف عنايته إلى مرحلة معيّنة من مراحل اللغة العربيّة، فأكّد

---

(٥) نائب رئيس جامعة القدّيس يوسف للدراسات العربيّة والإسلاميّة، ومدير معهد الآداب الشرقيّة. ألقيت هذه الكلمة على مُدَرَّج حرَم العلوم الإنسانيّة بجامعة القدّيس يوسف، لمناسبة تكريم الأب صبحي حمويّ اليسوعيّ لجهوده المعجميّة.

(١) المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة، الطبعة الأولى، بيروت، دار المشرق، ٢٠٠٠، [٣٥] + ١٦٤١ ص؛ الطبعة الثانية، ٢٠٠١.

(٢) *Dictionnaire du français contemporain* (J. Dubois, R. Lagane, G. Niobey, D. Casalis, J. Casalis, H. Meschonnic), Paris, Augé-Gillon, Hollier-Larousse, Moreau et Cie, Librairie Larousse, 1967, 1 vol., 1224 pp.

(٣) جبّور عبد النور، معجم عبد النور: عربيّ - فرنسيّ (الحديث)، الطبعة الأولى، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣.

- ولو ضمنيًا - تاريخيّتها، واختلاف مفرداتها ودلالاتها من حقبة إلى أخرى.

وقد أصبح اليومَ من باب تحصيل الحاصل - بفضل علوم اللسان وما نشهده بالعين المجرّدة في مناطق متنوّعة من العالم - القول إنّ اللغة ظاهرة اجتماعيّة، مرتبطة بزمانٍ وحيّز معيّنين، تتطوّر بفعل مؤثّراتٍ خارجيّة بيئيّة أو سياسيّة أو اقتصاديّة أو اجتماعيّة أو حضاريّة أو دينيّة...، ومؤثّراتٍ داخليّة تعود إلى نظامها اللغويّ نفسه، فَتَحْيا، وتتطوّر، وتموت[٤]. ولكنّ القضيّة ليست بمثل هذه البساطة والسهولة عندما يتعلّق الأمر بالعربيّة. فإنّ تطوّرها بفضل مستعمليها في مجتمعات متغيّرة، غيرُ واضح في أذهان القدماء، وهو يُثير ردّات فعلٍ متفاوتة لدى كثير من المحدَثين. وحَسْبُنا أن نُذكّر بنصٍّ لمحمّد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥) تناول فيه إصلاحَ أساليب العربيّة في عصره، فَخَلا النصّ من الإشارات الزمنيّة باستثناء إشارة إلى الحاضر، فبدَت اللغة العربيّة خارج نطاق الزمن، بمنزلة مثال أصليّ (archétype) يجعل الإصلاح ممكنًا، كما في الدين تمامًا[٥].

وتكمن تحت هذه النظرة إلى اللغة العربيّة عواملُ تاريخيّة كثيرة طبعتها بطابعها الخاصّ؛ ولعلّ أهمّها يعود إلى الدين، وظروف جمع اللغة ووضع معاجمها.

فمن جهة أولى، لم تلبث اللغة المشتركة (Koinè) التي نُظم بها الشعر القديم وأُنزل بها القرآن، أن أصبحت لغةَ الوحي ولغة الإعجاز[٦]

---

(٤) أُنظر مثلًا: إبراهيم السامرّائيّ، التطوّر اللغويّ التاريخيّ، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٣، ص ٢٨-٣٩، ٢٢٨-٢٢٩.

(٥) Michel Allard, «Méthode d'analyse de texte appliquée à un passage de Muhammad 'Abduh", *Studia Islamica*, 1970, pp. 15-28.
وقد ورد النصّ عند: محمّد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة المنار، ١٣٥٠/١٩٣١، ١/١١-١٢.

(٦) Régis Blachère, *Histoire de la littérature arabe des origines jusqu'à la fin du XV^e siècle de J.-C.*, Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient Adrien-Maisonneuve, 1952-1966, pp. 230-235.

وانطلق اللغويّون والنحويّون من بعض الآيات ليُحدّدوا أصلَ اللغة: فكانت الغلبة لِمَن قال بالتوقيف، على مَن ذهب إلى التواضع والاصطلاح من أهل النظر كالمعتزلة[٧]. ومن جهة أخرى، لم تجمع اللغة العربيّة جمعًا شاملًا حقيقيًّا: فقد اقتصر المعجميّون على الفصيح، وهو في عُرفهم، ما تكلّمت به قبائل معيّنة ممعنة في البداوة، كقيس وتميم وأسد وهُذيل وبعض كنانة وطيّئ؛ وركّزوا في شواهدهم على القرآن والشعر القديم، فكان إبراهيم ابن هَرْمة (ت ١٧٦/ ٧٩٢) آخر مَن يُحتجّ بشعره. وهكذا استُبعدت استنادًا إلى حُكم قيميّ يرمي إلى اجتناب الفساد في اللغة، قبائلُ كثيرة عاشت عند أطراف شبه الجزيرة العربيّة، وأُهمل المُوَلَّد الذي أُنتج في العهود العبّاسيّة، ولم يُحفَل بألفاظ الأدباء من كتّاب وشعراء؛ فسقط جزء كبير من الثروة اللغويّة العربيّة[٨].

تلك اللغة هي التي عُني بها المنجد الكلاسيكيّ، وجعلها أساسًا لمدوّنته إلى حدٍّ بعيد، مع أخذه بالكثير من مفردات المعاصرين، ودلالاتهم، ومصطلحاتهم[٩]. ولكنّ المنجد الجديد حصر اهتمامه في

---

(٧) السيوطيّ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمّد أحمد جاد المولى، وعليّ محمّد البجاوي، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، لات.، ١/ ٨-٣٠؛ André Roman, «Note sur le pronom *Hum* des versets coraniques de la nomination divine», *in Arabica*, XIX (1972), pp. 301-315.

(٨) السيوطيّ، كتاب الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق أحمد سليم الحمصي ومحمّد أحمد قاسم، الطبعة الأولى، بيروت، جرّوس برس، ١٩٨٨، ص ٣٦-٤٥٧؛ حسين نصّار، المعجم العربيّ: نشأته وتطوّره، الطبعة الثانية، القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٩٦٨، ص ٧٥١-٧٥٣.
وفي مسألة المولّد، انظر: السيوطيّ، المزهر، ١/ ٣٠٤-٣٢٠؛ الخوري بطرس البستاني، «في شوائب المعاجم»، المشرق، ٢٩ (١٩٣١)، ٦٨٧-٦٨٨؛ وما جمعه حبيب الزيّات: «معجم المراكب والسفن»، المشرق، ٤٣ (١٩٤٩)، ٣٢١-٣٦٤.

(٩) المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة الثامنة والثلاثون [منقّحة ومزيد عليها]، بيروت، دار المشرق، ٢٠٠٠.

اللغة العربيّة المعاصرة. فتلك مدوّنة تعاورتها عوامل التطوّر اللغويّ على اختلافها[١٠]، كالتوسّع المجازيّ[١١]، والاشتقاق[١٢]، والنحت (وهو نادر في المنجد الجديد)[١٣]، والتعريب (وهو فيه من الكثرة بمكان)[١٤]، حتّى تحقّقت لها الكفاية الدلاليّة.

فكيف عالج المنجد الجديد هذه اللغة؟ لقد كان عليه أن يبدأ بعمليّة اختيار تُتيح له أن يُحدّد مدوّنته. فوضع نُصب عَيْنَيْه مثقّف القرن العشرين[١٥]، وأراد أن يزوّده بما يحتاج إليه من مفردات، سواءٌ أكانت

---

(١٠) أنظر مثلًا: أحمد عبد الرحمن حمّاد، عوامل التطوّر اللغويّ، الطبعة الأولى، بيروت، دار الأندلس، ١٤٠٣/١٩٨٣.

(١١) مثلًا: «زائغ» = منحرف عن السبيل السويّ أو المألوف (المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة، ٦٣٦)؛ «تَصَوُّن» = حافظ على شرفه وسُمعته، عاش حياةً عفيفة فاضلة (م.ن.، ٨٦٥)؛ وانظر في المجاز عمومًا: السيوطيّ، المزهر، ١/٣٥٥-٣٦٨.

(١٢) مثلًا: «خَصْخَص» = نقل إلى مجال العمل الخاصّ ما كان من اختصاص الدولة (المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة، ٣٨٨)؛ «مِصَدّ» = قُرص معدنيّ مجهَّز بنابض يُستعمل في السيّارات والقطارات لتخفيف تأثير اصطدام (م.ن.، ٨٢١)؛ وانظر في الاشتقاق عمومًا: السيوطيّ، المزهر، ١/٣٤٥-٣٥٤.

(١٣) مثلًا: «قَرْوَسْطيّ» = ما يُذكَّر بالقرون الوسطى (المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة، ١١٤٩)؛ وانظر في النحت عمومًا: السيوطيّ، المزهر، ١/٤٨٢-٤٨٥؛ الأب روفائيل نخلة اليسوعيّ، «من غرائب القاموس العربيّ»، المشرق، ٤٧ (١٩٣٥)، ١٤٣-١٤٤.

(١٤) مثلًا: «ريجي» = إستغلال حكوميّ، وهو نظام تقوم الحكومة بناءً عليه بمشروعات تموّلها وتستغلّها = Régie (المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة، ٦٠١)؛ «سيكلوب» = عملاق أسطوريّ بعين واحدة وسط الجبين = Cyclope (م.ن.، ٧٣٤)؛ «موتوسيكل» = درّاجة بخاريّة أو ناريّة = Motocycle (م.ن.، ١٣٦٥). ويُفضَّل في التعريب المحافظة على حروف العربيّة وأوزانها؛ أنظر: السيوطيّ، المزهر، ١/٢٦٨-٢٩٣؛ عادل أنبوبا، «المصطلحات العلميّة في اللغة العربيّة»، المشرق، ٤٧ (١٩٥٣)، ص ٣٤١، ٣٤٨-٣٥٠؛ الأب روفائيل نخلة اليسوعيّ، «الكلمات الدخيلة في العربيّة»، المشرق، ٤٨ (١٩٥٤)، ٥٤١-٥٦٣.
وانظر في الاشتقاق والنحت والتعريب عمومًا، وموقف المجامع العربيّة منها: عبد الكريم خليفة، اللغة العربيّة والتعريب في العصر الحديث، الطبعة الأولى، عمّان، منشورات مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ، ١٤٠٧/١٩٨٧، ص ٢٣٤-٢٣٦..

(١٥) المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة، ص «ز».

عربيّة الأصل أم دخيلة. ومن أجل ذلك، انطلق أوّلًا من العبارات التي يستعملها المثقّف الغربيّ وممّا يقابلها في العربيّة، وذلك استنادًا إلى أداتَين، هُما المنجد الفرنسيّ العربيّ الذي تَرقى طبعته الأولى إلى سنة ١٩٧٢، والمنجد الإنجليزيّ العربيّ الذي تعود طبعته الأُولى إلى سنة ١٩٩٦، ثمّ تَرتّب عليه أن يَجمع من المعاجم العربيّة الحديثة - ومنها المنجد الكلاسيكيّ - المفردات والعبارات التي ليس لها مُقابِل في الفرنسيّة والإنجليزيّة، وهي تُشكّل حسب تقدير القيّمين عليه ربعَ مادّته[١٦]. فتكوّنت لديه حصيلة لغويّة معاصرة، سقطت منها اللغة العربيّة غير المتداولة التي نجدها في المنجد الكلاسيكيّ، وغيره من المعاجم العربيّة.

وتعيّن عليه بعدئذٍ أن يُصنّف هذه المادّة، فوجد في المنجد الكلاسيكيّ أُسوةً حسنة، وهو المعجم الذي أفاد من نقد النقّاد وتجاوزه، وحاز إعجاب جمهور اللغويّين، فوصفوه بأنّه «أحسن المعاجم الحديثة تنظيمًا وتوضيحًا للألفاظ»[١٧]، و«أحسنها منهجًا ونظامًا»[١٨]. فنسج على منواله في تصنيف المجرّد في باب أوّل حرفٍ منه[١٩]، وتصنيف المزيد أو ما فيه حرف مقلوب عن آخرَ في باب الحرف الأوّل من أصله[٢٠]؛ واستعار منه رسومه ولوحاته وفرائد أدبه (أمثاله)[٢١].

ولكنّ المنجد الجديد خالف المنجد الكلاسيكيّ في توزيع المادّة على الأفعال وإلحاق الفروع بأفعالها، فلم يوزّعها على فصائلها؛ وتجدر

---

(١٦) المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة، ص ز».

(١٧) حسين نصّار، المعجم العربيّ، ص ٧٢٥.

(١٨) م.ن.، ص ٧٣١.

(١٩) أنظر مثلًا: «قَلَبَ» (المنجد في اللغة، ٦٤٨-٦٤٩؛ المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة، ١١٧٦-١١٧٨).

(٢٠) أنظر مثلًا: «قَلَبَ»، و«تَقَلَّبَ»، و«انْقَلَبَ» في المادّة السابقة.

(٢١) قابِل على الترالي: المنجد في اللغة، ١١٦، ١٢٧، ٩٧٠-١٠١٤ ⟸ المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة، ٢٤٨، ٢٧٢، ١٥٧٧-١٦٤١...

الإشارة إلى اعتماده تحديدات دقيقة، وإضافته أمثلة كثيرة[٢٢]. ولم يُجارِه أيضًا في المضاعف الثلاثيّ، فلم يضعه في أوّل المادّة بل ردّه إلى أصله[٢٣]؛ وأورد المضاعف الرباعيّ حسب ترتيبه الألفبائيّ، فلم يردّه إلى أصله[٢٤]؛ وردّ مهموز الفاء الأجوف إلى أصله، فلم يجعله في أوّل المادّة[٢٥]. وممّا يجدر ذكره أنّه أدرج المعرّب حسب أوّله، فلم يُورده في أصله الثلاثيّ المفترَض[٢٦]. وذلك كلّه مُجارٍ لأُصول اللغة ونظامها الخاصّ.

ولكنّ جَمع المنجد الجديد لهذه اللغة العصريّة، وعنايته بشرحها وتقديم الأمثلة عليها، وحُسن بلائه في تصنيفها وتفريعها، أمور تستحقّ منّا مزيدًا من التأمّل، انطلاقًا من الدور الذي يُمثّله المعجم عمومًا، ومن شأن المعجم العربيّ أن يُمثّله خصوصًا. فإذا كان الفرد غير قادر على التحكّم في اللغة التي يتكلّم بها، لأنّ «تحكّم الفرد في الموادّ المعجميّة يتعارض مع الطبيعة الاجتماعيّة للغة»[٢٧]، فللمعجم جملة أدوارٍ يُمثّلها. فإذا عدنا إلى تاريخ المعجم العربيّ تبيّنّا أنّه كان وسيلةً إلى جمع اللغة وضبط معانيها في بداية التكوّن الحضاريّ، وإلى تنظيم اللغة وتهذيبها وتنقيتها في أيّام الازدهار، وإلى المحافظة عليها من الضياع في آونة الانحطاط، وإلى

---

(٢٢) قابل مادّتَي «قَلَبَ» في المعجمين المذكورين (الحاشية ١٩ أعلاه).

(٢٣) مثلًا: «مدّ». فقد صُنّف في المنجد في اللغة، في «مَدَّ»، بعد «محي»، فيما صُنّف في منجد اللغة العربيّة المعاصرة في «مدد»، بعد «ميداليّة».

(٢٤) مثلًا: «مَضْمَض». فقد صُنّف في المنجد في اللغة، في «مَضَّ»، بعد «مصل»، فيما صُنّف في منجد اللغة العربيّة المعاصرة في مادّته: «مَضْمَض»، بعد «مضع».

(٢٥) مثلًا: «آبَ». فقد صُنّف في المنجد في اللغة، في «آبَ»، بعد الألف الممدودة، فيما صُنّف في منجد اللغة العربيّة المعاصرة في «أوب».

(٢٦) مثلًا: «الإبريز». فقد أُدرج في المنجد في اللغة، في «أبر» بعد «أبد»، فيما ورد في منجد اللغة العربيّة المعاصرة، في مادّته: «إبريز»، بعد «إبريج».

(٢٧) فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، مراجعة عبد السلام رضوان، الكويت، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٠ (سلسلة عالم المعرفة، ٢٦٢)، ص ٣٣٠.

إحيائها وتحديثها في عصر النهضة.

والمعجم العربيّ اليوم مُقبل كأيّ معجم آخر على تمثيل دورَين أساسيّين في المجتمعات العربيّة: دور توحيديّ ودور توجيهيّ. أمّا الدور التوحيديّ فقد حدّده بدقّة فلوريان كولماس (Florian Coulmas) في كتابه: اللغة والاقتصاد *(Language and Economy)*، فقال: «وتقوم المعاجم (. . .) بدور رئيسيّ بالنسبة لفهم الجماعات اللغويّة وتقديرها لذاتها، تلك الجماعات ذات اللغات الموحّدة المتطوّرة، لأنّها ببساطة تساعد بشكل كبير على التوحيد اللغويّ. فمعاجم اللغة الواحدة تُجسّد مفردات اللغة وتحوّلها إلى أشياء، لتُصبح بالتالي ملكًا ماديًّا محتملًا لكلّ عضوٍ في الجماعة اللغويّة»[٢٨]. وأمّا الدور التوجيهيّ فيكمن في تكوين استعمالات معيّنة، بواسطة التأليف والترجمة والتعليم خصوصًا. . .

فمن هُنا تأتي أهمّيّة المنجد الجديد في تزويده المثقّف العربيّ بمدوّنة لغويّة تُمكّنه من مجاراة عصره، والتعبير عن حاجاته المتنوّعة. ومن هُنا تأتي مسؤوليّة المنجد الجديد في ضبط مستوى هذه اللغة، وحُسن الموازنة والمواءمة بين مفرداتها، فلا يَطغى الدخيل مثلًا على محاولات الاشتقاق والتوسّع المجازيّ، وتظلّ العربيّة العصريّة وثيقة الصلة بأصولها ومنطق نظامها، ولا تتحوّل إلى لغة هجينة.

فهكذا يؤدّي المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة دوره التوحيديّ ودوره التوجيهيّ على أكمل وجه، ويُشكّل مع سلفه مَعلمين على طريق تطوّر العربيّة، ومدخلين متينين إلى صَرح معجمها التاريخيّ.

فبارك الله جهود الأب صبحي حموي وفريقه في خدمة هذه اللغة والناطقين بها، وأمدّهم بما هم أهلٌ له من عونٍ ليستكملوا مسيرة أسلافهم في هذه المؤسّسة الكريمة، وليواصلوا عملهم المعجميّ المفيد، والمتجدّد، والرصين.

---

(٢٨) فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ص ٩٥.

من منشورات دار المشرق